



بسم الله والحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فعن خَبَابَ بْنَ الْأَرْتَ - رضي الله عنه - قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بِرْدَةً لَهُ فِي ظَلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُونَا، فَقَالَ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلُكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحَفَّرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيْجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوَضِّعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظِيمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لِيَتَمَّنَ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهُ وَالذِّبْرَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" [1].

ومن خلال القراءة السياسية لحديث النبي - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وإمعان النظر في تفصيلاته للوصول لتحليل سياسي يتضمن أهم الأسباب والأهداف التي من أجلها وبموجبها صدر هذا التصريح الكبير والمهم عن النبي محمد - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فنجد أنَّ فيه:

1- إِيصال رسالة للمواطنين المنتسين حديثاً للإسلام (كمنهج سُيُّغِير مسار الحياة على وجه الأرض بالكامل)، تقول: إن المرحلة القادمة مرحلة صعبة وشاقة وخطيرة، سيستشيط خلالها الأعداء من الكفار والمرشكين غضباً، وربما استشاط غيرهم، وسيستخدمون كافة الوسائل المتاحة وربما استوردوا أساليب أخرى، لمنع الفكر الجديد من الاتساع وتحقيق أهدافه، هذا واقع الحال، فمن يرغب بالاستمرار فسيكون على هذا الأساس وقد أحبط علمًا، وإن فليجد له طريقاً آخر. فطريق تغيير المجتمعات ونشر الفكر الخالق وعلى مستوى الأرض كلها، لن يكون مفروشاً بالزهور بل على العكس كما تضمن الحديث ذلك.

وفي عالم السياسة تحديداً فإن الناس تصطدم دائماً بتجار السياسة وقاطفي المنافع، وعلى ضوء ذلك فالمنهج الجديد سيضطر من غير اختيار أن يصطدم بهذا النوع من الانتهازيين، وهم أصحاب المصالح الشخصية.

وقد اختار النبيُّ مُحَمَّدَ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَشَدَّ أَنْوَاعَ التَّنْكِيلِ وَأَقْسَاهَا لِيُوَصِّلُهَا صُورَةً نَقِيَّةً - من غير تشويش - إلى تابعيه، بوضوح وبشفافية تامة، كنموذج عن الآتي في قابل الأيام، فيقول لهم: (فَيُجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوَضِّعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظِيمِهِ)، حتى لا يُبْقِي

للمتلقين من مواطنيه وأتباعه أي شك أو تأويل لنوعية المشقة التي سيكابدونها في المستقبل.

على عكس سياسة المصالح والتي تكسب رجالها بإغرائهم ووعدهم بمنهم الامتيازات والأموال والمناصب، وربما تُشترى أصوات الناس بهذه الطريقة السمجة الرخيصة.

2- **أنَّ استلام دفة قيادة الناس وامتلاك زمام الأمور وخاصة السياسية منها**، لن يحصل ولن يكون مالم يُدفع ثمن ذلك، وما لم يُمتحن من يسير بهذا الاتجاه امتحاناً شاقاً وعسيراً، قال تعالى: **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنَّ يُنْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** * **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمُنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمُنَّ الْكَاذِبِينَ** ? [العنكبوت: 2-3]

فيعكس ذلك سيكون من يمسك زمام الأمور متربماً فكريًا وسياسيًا، وسيُقدّم له النصر على طبق من ذهب ومن غير ثمن، فسيكون من الصعوبة المحافظة على المكاسب ومن السهل التفريط بها.

وفي الحديث الحثُّ على العزائم والتمسك بها، على الرغم من توفر الفرص والمنح والرخص، ولكن العزيمة في كل الأحوال أفضل، وإن كان معها العذاب والتنكيل أو ربما الموت، لأنَّ الأمر يتعلّق بنشر منهج وفكرة وإيصال رسالة، وتغيير مجتمع من الوجوه كافة، وقيادة الناس وبناء أمة.

جاء في تفسير الحديث:

(أجمع العلماء أن من أكره على الكفر فاختار القتل، أنه أعظم أجرًا عند الله من اختار الرخصة، واختلقوها فيمن أكره على غير الكفر من فعل ما لا يحل له فقال أصحاب مالك: الأخذ بالشدة في ذلك، و اختيار القتل والضرب أفضل عند الله من الأخذ بالرخصة)[2].

فالعوائق الراسخة والمناهج العظيمة والأفكار الرصينة تحتاج إلى عرق يُصبُّ ودماء تُراق لتُبني بها أبنات الدولة القادمة.

3- **في طريق منهج التغيير القائم وبناء المجتمع وتأسيس دولة متحضرة بمنظومة قيم راقية**، لاشك ستكون معية الله سبحانه وتعالى حاضرة، ولكن نصرة الله ومعيته لن تأتي قبل إثبات صدق النوايا والتميز بعمل دؤوب لأجل القضية من قبل الأفراد وتقديم ما يُثبت ذلك، فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالأخذ بكل الأسباب الدنيوية المتاحة.

وهنا لابد من الانتباه أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- جالس في ظل الكعبة، والكعبة بيت الله سبحانه وتعالى ولو دعا الله سبحانه وتعالى، وشاء الله أن يستجيب لقال سبحانه وتعالى لكل شيء كن فكان، وإن الأمر على الله سبحانه وتعالى هين هين، لكن الأمر ليس كذلك فلابد من المثابرة والعمل الدؤوب قبل ذلك.

لقد كانت فترة الامتحان والشدة ثلاثة عشرة سنة، وهي فترة طويلة، ذاق فيها المسلمون أصحاب العقيدة الراسخة أهل الله سبحانه وتعالى وأصحاب وأحباب رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- أولئك من العذاب ما لا يتحمله إنسان، وعانوا من آلام رهيبة، كان عزاؤهم أن كل ذلك كان في ذات الله جل في علاه، ثم إذن الله سبحانه وتعالى بأن تقام دولة الإسلام، ورغم هذا الفتح المبين والنصر العظيم إلا أن فترة وجود الدولة لم تخلو من الآلام والمحن والمشقة والتعب.

4- **الربط الذهني للأفراد (الذين يمثلون شعب الدولة الإسلامية في المستقبل)** بأن الجغرافية السياسية للمنطقة ستتغير، ولن يتوقف أمر الأمة الإسلامية عند حدود مكة أو حتى جزيرة العرب.

فالمعنى هنا هو في تغيير توجيهه أو (توجه) التفكير عند المواطن المسلم بالمفهوم السياسي الجديد الذي يفتح للعقل آفاقاً جديدة تحرره من نظرته السابقة من أن مكة مركزاً دينياً وتجارياً مرموقاً فحسب، بل تحول تفكيره بالكامل وتحرره باتجاه مفهوم جديد هو مفهوم تأسيس الدولة وفكرة عالميتها.

5- في مسيرة عمل بناء الدولة لابد من تسمية الأهداف الاستراتيجية، بشكل واضح لا يقبل للبس ولا الخلط، فوضوح ودقة تحديد الأهداف ستعين العاملين فيها على التركيز على أهدافهم وستكون الضمانة لعدم تشتيتهم. لقد أوضح الحديث بكل صراحة: (ليتمنَ الله هذا الأمر)، فالأهداف ستتحقق، ولكن الداء الخطير في السياسة هو استعجال تحقيق الأهداف (لكنكم تستعجلون)، فالرسالة هنا هي أن الطريق طويل وشائك وشاق، ولكن مع الصبر والعمل بمثابرة ستتحقق الأهداف.

6- اختيار مدینتی صناء[3] وحضرموت تحديداً في الحديث له بعده السياسي أيضاً، فأما ما يخص صناء فلا بد من الإيضاح أن هناك صناء اليمن وصناء الشام، وهما معروفتان عند العرب حينئذ.

فحين يتعلق مراد رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - في حديثه بصناء اليمن، فيمكن تحليل الأمر على الوجه الآتي:

- كما هو معروف أنهم جزء من دولة اليمن في السابق وحالياً (المقصود صناء وحضرموت)، وكانت اليمن تدين بالولاء لأعظم إمبراطورية على وجه الأرض في ذلك الزمان وهي الإمبراطورية الفارسية، ففي الحديث إشارة وتحرك سياسي بأننا سنقترب من هذه الإمبراطوريات العظمى ونفتحها لأننا أعظم قدرًا وأصدق رسالة منها، وسيصل الإسلام إليها بعز عزيز أو بذل ذليل.

- بعد المسافة بين صناء وأقوام حضرموت، فبينهما بحدود 770 كيلومترًا وكانت أرض خطرة في ذلك الوقت، ففي الحديث إشارة لحجم الأمن والعدل الذي سيسود الأرض تحت راية سلطان الدولة الإسلامية.

- إن اليمن تقع ضمن الجزيرة العربية وهي جزء منها، وقد نشأت فيها حضارات عريقة ومشهورة وخاصة صناء وحضرموت فقد كانت محطة لدول لها تاريخها، كدولة سباً ومعين وحمير قبل الإسلام.

- قال القزويني في "آثار البلاد وأخبار العباد" في حق صناء: "قصبة بلاد اليمن، أحسن مدنها بناء وأصحها هواء وأعذبها ماء، وأطيبها تربة وأقلها أمراضًا، ذكر أن الماء إذا رش في بيتها تفوح منه رائحة العنبر، وهي قليلة الآفات والعلل، قليلة الذباب والهوا".

إذا اعتقل إنسان في غيرها ونقل إليها ييرأ، وإذا اعتلت الإبل وأرقيت في مروجها تصبح، واللحم يبقى بها أسبوعاً لا يفسد".

وكان العرب يرون أن صناء وهي المدينة العظمى التي ينزلها الولاة وأشراف العرب، وهي مدينة كبيرة حسنة العمارة، بناوها بالاجر والجص، وهي كثيرة الخيرات متصلة العمارات كثيرة الحصون والقصور[4] وليس في بلاد اليمن أقدم منها عهداً ولا أكبر قطرًا ولا أكثر ناساً وشتهرت بالصناعات.

- أما حضرموت فقد ((بلغ الحضريون في المدينة والحضارة مبلغاً ليس في عهدهم مثيل، فقد بنوا القصور الشاهقة وعمروا المدن الواسعة، ووضعوا الهياكل والتماثيل واحتفروا الترع والسوافي، وأنشأوا السدود الضخمة يحجزون بها المياه ويسقون المرتفعات من الأرض والمنخفضات منها، وعبدوا الشوارع واغترسوا الحدائق والبساتين، وكانوا في ترف ونعم ولباسهم في أفخر الأنسجة، ورياسهم من الحرير، وأنيتهم محللاً بالذهب، وأثاثهم مزین بالذهب والفضة والجواهر))[5].

- ف تكون الرسالة بأن هذا المجد القديم سيعود مرة أخرى للعرب ولكن بالإسلام وتحت رايته هذه المرأة، كما أن هناك جزءاً من الرسالة يتعلق بالمواطن المسلم بأن يتحرر من فكرة الانغماض في رمال الجزيرة العربية وأن يغير استراتيجية التفكير نحو بناء مدن حضارية كصناء وحضرموت وما فيها من تقدم وعمان وصناعات وحرف.

- وحين يكون المراد في الحديث صناء الشام[6]، (وهو الأرجح عندي)، فالتحليل يذهب باتجاه المسافة الشاسعة، فمن

أدنى جنوب الجزيرة العربية (صنعاء) إلى أقصى شمالها (الشام) وهي مشارف بلاد الروم، فهذا يعني أن سلطان الإسلام سيمتد ليطأ سلطان فارس والروم ويمتد معه الأمان والاطمئنان للبلاد.

7- إنَّ المشروع الجديد للتغيير متمثلاً بالإسلام، سيمر بمرحلة صراع طويل مع الفكر القديم وهذه سنة كونية، فالتجديد يُحارب في كل زمان ومكان، ولابد للمسلمين من التهيئة والنجاح في (إدارة الصراع) بالطريقة التي يقررونها وأن النتيجة ستكون في حينها لصالحهم، وفي إدارة الصراع لابد من حساب للتضحيات، وبعكسه فإن امتلاك الخصم لأدوات الصراع سيحسم الأمر لصالحه.

8- المخاطب في هذا الحديث هو خَبَابُ بْنُ الْأَرْتَ^[7] - رضي الله عنه - وهو من المستضعفين والفقراء والمسورين في مكة، فليس له عشيرة تدافع عنه، وهو من كُنْ يُعذَّبُ عذاباً شديداً، فالخطاب له ولنظرائه وليس للكبار والأغنياء والوجهاء، يقول لهم: أيها المستضعفون، أيها الفقراء؛ ستدول لكم الأيام عما قريب وتعلن دولتكم، لأن من همكم هو الصحيح وإنكم على الطريق الصواب والحق والعاقبة لكم، ولن يضركم فقركم وعوزكم ورركم وضعفكم فالمنهج الجديد يضع هذه المفاهيم وراءه ظهرياً، فإيمان بالله سبحانه وتعالى والعمل بالمبادئ هو سبيل النصر، فلا تستعجلون.

والخطاب مثل ما كان موجهاً للضعفاء الموالين فهو موجه للأعداء المحاربين، بأن المسلمين أصحاب قضية، ولهم أهداف ستحقق في المستقبل، ولن يكون التعذيب أو الترهيب أو التروع الذي يمارسونه ضد المسلمين سبباً في تراجعهم عن قضيتهم.

[1] صحيح البخاري - كتاب الإكراه - باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر.

[2] شرح صحيح البخاري، ابن بطال، كتاب الإكراه، ج 8، صفحة 294.

[3] سميت صناعة لأنها (صنعة) أي منيعة.

[4] قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: "كان فيها قصور مشهورة، كقصر المملكة قصر زيدان، وقصر شوطان، وقصر كوكبان، وكان لمدينة صناعة تسع أبواب".

[5] تاريخ حضرموت السياسي، صلاح عبد القادر البكري، ج 1، ص 39.

[6] جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي: صناعة: "وهي قرية على باب دمشق من قرى غوطة دمشق، خربت اليوم". وكانت صناعة الشام ولاية من ولايات الدولة على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وله عليها عامل هو ثعامة بن عدي القرشي رضي الله عنه.

[7] جاء في الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: خباب بن الأرت؛ اختلف في نسبه فقيل هو خزاعي وقيل هو تميمي ولم يختلف أنه حليف لبني زهرة، وال الصحيح أنه تميمي النسب لحقه سباء في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعنتها، وكانت من حلفاء بني عوف بن عبد الحارث بن زهرة، فهو تميمي بالنسب خزاعي بالولاء، زهري بالحلف، وهو خباب بن الأرت بن جندلة بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، كان رضي الله عنه قيناً (حداداً) يعمل السيوف في الجاهلية، فأصحابه سباء فبيع بمكة فاشترته أم أنمار بنت سباع الخزاعية، وقد قيل: هو مولى ثابت بن أم أنمار، ولكنه انتهى إلى حلفاء أمه من بني زهرة.